

تفسير البحر المحيط

@ 471 إنَّ العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم ، وارجعوا إليهم فإنكم غالبوهم
تشجيعاً لهم على قتالهم . . .

{ وَعَلَى اللَّاهِ فَتَوَكَّلُوا ° إِنَّ كُنْتُمْ مَّؤْمِنِينَ } لما رأى بني إسرائيل قد
عصوا الرسول في الإقدام على الجهاد مع وعد الله لهم السابق ، استرابا في إيمانهم ،
فأمرهم بالتوكل على الله إذ هو الملجأ والمفرج عند الشدائد ، وعلق ذلك بشرط الإيمان الذي
استرابا في حصوله لبني إسرائيل . . .

{ قَالُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * مُوسَى * لَنْ نَزِدَّ خُلاَئِفَاكَ أَبَدًا * مَا دَامُوا ° فِيهَا }
لما كرر عليهم أمر القتال كرروا الامتناع على سبيل التوكيد بالموليين ، وقيدوا أولاً نفي
الدخول بالظرف المختص بالاستقبال وحقيقته التأيد ، وقد يطلق على الزمان المتناول
فكأنهم نفوا الدخول طول الأبد ، ثم رجعوا إلى تعليق ذلك بديمومة الجبارين فيها ،
فأبدلوا زماناً مقيداً من زمان هو ظاهر في العموم في الزمان المستقبل ، فهو بدل بعض من
كل . . .

{ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا } ظاهر الذهاب الانتقال ، وهذا يدل على أنهم
كانوا مشبهة ، ولذلك قال الحسن : هو كفر منهم بالله تعالى . قال الزمخشري : والظاهر أنهم
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء ، وقصدوا ذهابهما حقيقة لجهلهم
وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل ، وسألوا بها رؤية الله جهرة ، والدليل عليه
مقابلة ذهابهما بقعودهم . ويحكى أن موسى وهارون خرّيا لوجههما ما قدامهم لشدة ما ورد
عليهما فسموا برجمهما ، ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالى :

{ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ° الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا } وقيل : يحتمل أن لا يقصدوا الذهاب حقيقة ، ولكن كما تقول :
كلمته فذهب يجيني ، يريد معنى الإرادة والقصد للجواب ، كأنهم قالوا : اريد إقبالهم . . .
والمراد بالرب هنا هو الله تعالى . وذكر النقاش عن بعض المفسرين هنا أن المراد بالرب
هارون ، لأنه كان أسن من موسى ، وكان معظماً في بني إسرائيل محبباً لسعة خلقه ورحب صدره ،
فكأنهم قالوا : اذهب أنت وكبيرك . وهو تأويل بعيد يخلص بني إسرائيل من الكفر . وربك
معطوف على الضمير المستكن في اذهب المؤكد بالضمير المنفصل ، وقد تقدّم الكلام على ذلك
في قوله : { اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } ورددنا قول من ذهب إلى أنه مرفوع
على فعل أمر محذوف يمكن رفعه الظاهر ، فيكون من عطف الجمل التقدير : فاذهب وليذهب ربك

. وذهب بعض الناس إلى أن الواو واو الحال ، وربك مرفوع بالابتداء ، والخبر محذوف . أو تكون الجملة دعاء والتقدير فيهما : وربك يعينك ، وهذا التأويل فاسد بقوله فقاتلا . { إِنْ زَلَّ هَاهُنَا قَاعِدُونَ } هذا دليل على أنهم خارت طباعهم فلم يقدرُوا على النهوض معه للقتال ، ولا على الرجوع من حيث جاءوا ، بل أقاموا حيث كانت المحاورة بين موسى وبينهم . وها من قوله هاهنا للتنبيه ، وهنا ظرف مكان للقريب ، والعامل فيه قاعدون . ويجوز في مثل هذا التركيب أن يكون الخبر الظرف وما بعده حال فينتصب ، وأن يكون الخبر الاسم والظرف معمول له . وهو أفصح .

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي } لما عصوا أمر الله وتمردوا على موسى وسمع منهم ما سمع من كلمة الكفر وسوء الأدب مع الله ولم يبق معه من يثق به إلا هارون قال ذلك ، وهذا من الكلام المنطوي صاحبه على الالتجاء إلى الله والشكوى إليه ، ورقة القلب التي تستجلب الرحمة وتستنزل النصر ونحوه قول يعقوب : { إِنْ زَلَّ مَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ } وعن علي أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال المنافقين فما أجابه إلا رجلان ، فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال : أين تتبعان مما أريد ؟ والظاهر إن أخي معطوف على نفسي ، ويحتمل أن يكون وأخي مرفوعاً بالابتداء ، والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه أي : وأخي لا يملك إلا نفسه ، فيكون قد عطف جملة غير مؤكدة على جملة مؤكدة ، أو منصوباً عطفاً على اسم إن أي : وإن أخي لا يملك إلا نفسه ، والخبر محذوف ، ويكون قد عطف الاسم والخبر على الخبر نحو : إن زيدا قائم وعمراً شاخص ، أي : وإن عمراً شاخص . وأجاز ابن عطية والزمخشري أن يكون وأخي مرفوعاً عطفاً على الضمير المستكن في أملك ، وأجاز ذلك للفصل بينهما بالمفعول المحصور . ويلزم من ذلك